Studies in Spirituality - Weekly Torah Portions by Rabbi Lord Jonathan Sacks zt"l

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

The Original text in English and translations to other languages can be found here:
Covenant & Conversation | Nitzavim | To Renew our Days | The Rabbi Sacks Legacy

"فَيِّلِخْ" هو النصُّ الأسبوعي التاسع من كِتاب "دڤاريم" (أي سِفر التثنية) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الحادي والثلاثين وينتهي بالآية الثلاثين من نَفس المقطع.

لِنُجَدِّد زَمانَنا

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

وجاءَ الوقتُ الذي كان نبي الله ورسوله موشيه/موسى على وشك أن يُفارق الحياة. وبعد أن شَهِد وفاة شقيقته ميريام/مريم وشقيقه أهارون/هارون كان يدعو الله عزّ وجلّ ألا يمد في عُمره إلى الأبد، بل ألا يمد في عمره على الإطلاق، لكنه كان يتضرعُ إلى الله قائلاً: **"أسألُكَ أن أجوزَ وأنظُر إلى ذلك البلدِ الجيّدِ الذي في جانبِ الأردن"** تبعاً لما تذكره الآية الخامسة والعشرون من المقطع الثالث من سِفر التثنية. بعبارة أُخرى، كان موشيه يتضرّع إلى الله لكي يسمَح له بإكمال رحلته ويشهدَ الوصول إلى محطّتها الأخيرة، لكن اللهَ رفض ذلك قائلاً لموشيه: **"حسبُك! لا تُزِد مَسألتي في هذا الباب"** بحسب ما تخبرنا الآية السادسة والعشرين من نفس المقطع ونَفس السِّفر. بالتالي نجد أن الله عزّ وجلّ قد استجاب لكل دعاء تضرَّع به موشيه باستثناء دعائِه هذا.[1]

لكن ماذا فعل موشيه في آخر أيامه في الحياة؟ لقد أوعزَ بالقيام بأمرين اثنين وهُما آخرُ وصيتين من مُجمل الوصايا البالغ عددها 613 وصية، الأمر الذي كان له تأثيرٌ واضِحٌ على مُستقبل اليهودية واليهود. أما الأمر الأول فيُعرَفُ بِـ **"هَقهيل"**، ويُقصد به أن يقومَ الملكُ بجَمعِ الناسِ خلال عيد السوكوت (عيد المظليات أو عيد العُرُش) عَقِب السنة السابعة التي لا يجب فيها زراعة الأرض والتي تعرف بِـ**"شميطاه"**. وهذا ما تبيّنه لنا الآيات 10-13 من المقطع الحادي والثلاثين من سِفر التثنية:

"وأمرهُم وقال لهم، في كل مدة سبع سنين، في وقت سنة التسييب في حَج المَظالّ. في مَجيء جميع آل يسرائيل للحضورِ بين يدي ربّكم في الموضع الذي يختاره، تُقرأ عليكُم هذه التوراة، بِحِذاهِم حيث يسمعونها. وذاك بأن تجوّقَ القومُ، الرجال والنساء والأطفال والغريبُ الذي في محالّك، لكي يَسمعوا ويتعلّموا، ويخافوا الله ربكُم، ويحفظوا ويعملوا بجميع كلام هذه التوراة. حتى بنيهم الذين لم يبلغوا، يسمعون ويتعلمون ويخافون الله ربكم طول زمانهم، الذي هم أحياءٌ في هذا البلد، الذي أنتُم جائزون الأردن لتدخلوا إليه لِحوزه".

ولا يوجدُ أي مرجعٍ مُحدد لهذا الأمر في الكتب القادمة من أسفار التّناخ*، لكن يوجد ما يوثّقُ وجود تجمّعاتٍ مُشابهة جداً لهذا الأمر: وهي التجمّعاتُ من أجل تجديد العهد، حين يقومُ الملكُ أو من ينوب عنهُ بجَمع الناسِ وقراءة أجزاء من التوراة على مسامعهم من أجل تذكيرهم بتاريخهم، داعياً إياهم كشعبٍ واحدٍ إلى تجديد وتأكيد الالتزام ببنود العهد مع الله عزّ وجلّ، وهذا فِعلاً ما كان نبي الله ورسوله موشيه يقوم به خلال الشهر الأخير من حياته. وسِفر التثنية كُكُلّ هو بمثابة إعادة تذكير ببنود العهدِ مع اللهِ بعد مرور جيلٍ واحدٍ وانقضاء أربعين عاماً منذ بداية هذا العهد فوق قمة جبل سيناء. وهنالك مثالٌ آخرُ موجودٌ في المقطع الرابع والعشرين والأخير من سِفر يهوشوع/يوشع الذي أدّى دوره على أكمل وجهٍ كخليفة لموشيه، فعبرَ مع بني يسرائيل من الأردن وقادهم خلال المعارك حتى يستقرّوا في أرض الميعاد.

وهنالك مثالٌ آخر حدث بعد عِدّةِ قرونٍ، تَحديداً في عهد الملك يوشياهو/يوشيا ملك يهودا، حيث قام جَدّهُ منشّيه/منسى بممارسة أشكال مُختلفة من عبادة الوثنية، حيث حكم المملكة لمدة خمسة وخمسين سنة وكان واحداً من أسوأ الملوك الذين عرفتهم مملكة يهودا، وخلال فترة حُكمه كان يُقتلُ الأطفال لتقديمهم كقرابين للآلهة. وأراد الملك يوشياهو إعادة الشعب إلى إيمانه اليهودي، فأصدر عدداً من الأوامر من أجل تحقيق هذه الغاية من ضمنها تطهير وإصلاح الهيكل (بيت هَمِقداش/بيت المقدس)، وفي خضم ذلك تم العثور على نسخة من التوراة [2] كانت مقفولة بإحكامٍ وموضوعة في مكانٍ خفيّ حتى لا يتمّ التخلصُ منها خلال عقودٍ ازدهرت فيها عبادة الوثنية وكانت فيها التوراة على وشك أن تُنسى.

وكان لعثور الملك يوشياهو على هذه النسخة من التوراة تأثيرٌ شديدٌ عليه، فقام بِجمع القومِ (تنفيذا لوصية **"هَقهيل"**) في اجتماع يشبه في طبيعته الاجتماعات التي تَجري على المستوى القومي بين الحاكم والرعيّة، وهذا ما توضحه لنا الآيات 1-3 من المقطع الثالث والعشرين من سِفر الملوك الثاني:

"وأرسلَ المَلِكُ فجمعوا إليه جميع شيوخ يهودا وأورشليم. ثم صعد المِلِكُ إلى بيت الله وجميع رجال يهودا وجميع سكّان أورشليم معه، والكهنةُ والأنبياءُ وجميع الشعب من الصغير إلى الكبير. وقرأ على مسمعهم جميع كلام كتاب العهد الذي وجده في بيت الله. ووقفَ الملكُ على المنبر وقطع عهداً أمام الله أن يسلك طريقه ويحفظ وصاياه وشهاداته وفرائضه بكل قلبه ووجدانه لإقامة هذا العهد المكتوب في هذا السِّفر. ووقفَ جميعُ القومِ عند العَهد".

لكن أشهر مثال على تجمّع الشعبِ لتجديد عَهد **"هَقهيل"** هو ما قام به عِزرا ونِحميا بعد الموجة الثانية من عَودة يهود بابل إلى أرض يسرائيل (بحسب ما يذكر سِفر نحميا في المقاطع 8-10)، حيث صعدَ عِزرا على منبرٍ بجانب أحد بوابات الهيكل، وبدأ يقرأ التوراة على مسامع القوم بعد أن وضع رجالاً من سِبطِ اللاويين بين القوم حتى يُفسّروا للناسِ ما يقوله. وبدأت مراسم هذا الاجتماع في مُناسبة روش هاشَناه (رأس السنة العبرية) التي يتبعها عيد السكوت (عيد المظليات أو العُرش) عِندما وقفَ الناسُ جميعاً **"والتصقوا بإخوتهم وعظمائهم وأقسموا وحلفوا أن يسيروا في شريعة الله التي أُعطِيَتْ على يد موشيه عبد الله وخادمه، وأن يحفَظوا ويعملوا جميع وصايا الله سيِّدنا وأحكامه وفرائضه"** بحسب ما تذكر الآية التاسعة والعشرون من المقطع العاشر من سِفر نحميا.

أما الأمر الثاني والأخير الذي أوعزَ به موشيه فيُمكن اختزاله في هذه الكلمات: **"والآن فاكتبوا لكم هذه التسبيحة ولقِّنها لبني يسرائيل"** بحسب ما تذكر الآية التاسعة عشرة من المقطع الحادي والثلاثين من سِفر التثنية، والذي فُسِّر من خلال التفاسير الحاخامية على أنه أمرٌ بكتابة **سِفر توراة** أو المشاركة في كتابته. والسؤال الذي يطرح نفسه هُنا: لماذا أوعز موشيه بهذين الأمرين؟ ولماذا في هذا التوقيت على وجه التّحديد؟

***مُلاحظة توضيحية من المترجم: التَّناخ** هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نڤيئيم، كتوڤيم"(أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهوديّ المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخُروج وسِفر اللاويين وسِفر العدد وسِفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سِفر يوشَع، وسِفر القُضاة وسِفر صموئيل الأول والثاني وسِفر المُلوك الأول والثاني وسِفر إشعياء وسِفر إرميا وسِفر حزقيال، وسِفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغيوغرافيا، أي كُتُب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سِفر المزامير، وسِفر الأمثال، وسِفر أيوب، وسِفر روث (راعوث)، وسِفر نشيد الإنشاد، وسِفر الجامِعة، وسِفرُ مراثي إرميا، وسِفر أستير، وسِفر دانيال، وسِفر عِزرا ونحميا، والجُزء الأخير من التَّناخ يضم أسفارِ تدوين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سِفراً (كتاباً)

في الحقيقة هنالك أمرٌ جوهري يجري إتمامه هُنا، ولنتذكر كيف بدا الله عزّ وجلّ وكأنه في قمّة قَسوته حين رفضَ طلب نبيّه ورسوله موشيه بأن يعبر نهر الأردن قائلاً: **"حسبُك! لا تُزِد مَسألتي في هذا الباب".** فهل هذه هي التوراة وجزاؤها؟ وهل هذه هي الطريقة التي يكافئ بها الله عزوجلّ أعظم نبيّ من أنبيائه؟ بالتأكيد لا.

إن الله عزّ وجلّ بهذين الأمرين الأخيرين يُعلّمُ موشيه – ومن خلاله يُعلّم اليهود عبر مرّ الزمان – مَعنى الديمومة والخلود على الأرض، لا في السماوات فقط. إننا كائناتٌ فانية لأننا كائناتٌ مادية، ولا يوجدُ كائنٌ ماديّ عُضوي يعيشُ للأبد، فنحنُ نكبرُ ونتقدمُ في العُمر وتبدأ أجسادنا بالضعف والعجز شيئاً فشيئاً ثُمّ نموت. في الوقت نفسه، نحنُ لسنا مُجرّد كائناتٍ مادية فقط، فنحنُ كائناتٌ روحانية أيضاً. وما نتعلّمهُ عبر هذين الأمرين الأخيرين هو كيف نكونُ جُزءاً من روحٍ لم تَمُت على مدار أربعة آلاف عام، ولن تموت طالما يوجدُ شمسٌ وقمرٌ ونجوم في هذا العالم.[3] بالتالي بَيّنَ الله عز وجلّ لموشيه – وعبره يُبيّنُ لنا – كيف بإمكاننا أن نكون جُزءاً من حضارةٍ لا تَعجزُ ولا تَهرمُ أبداً، فهي حضارةٌ تظلّ يافِعةً لأنها تُجدِّد نفسها مراراً وتكراراً. بعبارة أخرى: يتمحور هذان الأمران حول مسألة التجديد، أولاً على المستوى الفردي وثانياً على المستوى الجماعيّ.

إن اجتماع تجديد العَهد السنويّ كل سبع سنوات **"هَقهيل"** هو بمثابة ضمانة بأن الشعبَ يُعيد تكريسَ نفسه للمهمة الموكلة إليه على نحو مُستمر. ولطالما ناقشتُ هذا الأمر موضّحاً بأنه يوجدُ مكانٌ واحدٌ في هذا العالم لا زالت مراسم تجديد العهد تُمارسُ فيه حتى يومنا هذا: إنه الولايات المتحدة الأمريكية. في الحقيقة فإن مبدأ العهد لعب دوراً حاسِماً في السياسة الأوروبية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، خاصة في اسكتلندا وهولندا وإنجلترا وجنيف التي تأثرت بالحركة المسيحية الكالفينية. لكن أطول تأثيرٍ مُستدام لسياسة تجديد العهد كان على أمريكا، حيثُ نقلها إلى هناك أوائل من استوطَنوها من أتباع الحركة المسيحية التطهيرية (البيوريتانية)، وظلّت جُزءاً من الثقافة السياسية الأمريكية منذ تلك الفترة حتى يومنا هذا. وبإمكاننا القول بأن الخِطابَ الذي ألقاه ولا زال يُلقيه كل رئيسٍ أمريكي عقب انتِخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية كل أربع سنوات (هذا التقليد الذي بدأ منذ عام 1789م) هو بمثابة مناسبة يتم فيها تجديدُ العهد ضمنياً أو بشكل صريح، وهذا شكلٌ من الأشكال المُعاصرة لـ **"هقهيل".**

وفي عام 1987م، هذا العام الذي شهد مرور مئتي عامٍ على إقرار الدستور الأمريكي، وصَفَ الرئيس الأمريكي آنذاك رونالد ريغان الدستور الأمريكي بأنه شكلٌ من أشكال "العهدِ الذي لم نعقده مع أنفسنا فقط، بل مع البشرية جمعاء... إنه عقدٌ إنسانيّ، أجل، إنه عقدٌ يتخطى حدود ذلك ليكون عهداً مع الله العظيم الذي لطالما تضرّع مؤسسو الولايات المتحدة الأوائل إليه طالبين منه يد العون والمساعدة. إنّ مهمة الولايات المتحدة الأمريكية تتجسّدُ في تجديد عهدها مع الإنسانية.. حتى تستكمل العمل الذي بدأ قبل مئتي عام، هذا العمل النبيلُ الذي تمنحهُ أمريكا تسمية خاصة: انتصار الحرية الإنسانية، انتصار الحرّية الإنسانية تحت ظِلّ عرشِ الله".[4]

بالتالي، إن كان **"هقهيل"** هو بمثابة مناسبة قومية لتجديد العهد، فإن الأمر الموجَّهَ إلينا بالمشاركة في كتابة **سِفر توراة جديد** (الكتابة بمعنى النّسخ في هذه الحالة) هو بمثابة دعوة للتجديد على المستوى الشخصيّ والفرديّ. لقد كانت هذه طريقة نبيّ الله ورسوله موشيه ليوصِلَ هذه الرسالة لجميع الأجيال القادمة: لا يَكفي أن تقولوا بأنكم ورثتم التوراة عن آبائكم وأجدادكم أو أجداد أجدادكم، بل يجبُ عليكم أن تأخذوها وتُجددوها جيلاً بَعد جيل.

إن أحد أكثر السّمات المُذهلة في الحياة اليهودية هو أن اليهود – الذين يمتد وجودهم من أرض يسرائيل إلى مدينة بالو ألتو – هم أكثر مُستخدمٍ فِعليّ لأنظمة المعلومات في العالم، لهذا ساهموا إلى حد كبير في تطويرها بشكل يفوق جداً حجم استخدامهم لها، الأمرُ الذي نراه جلياً في شركات جوجل وفيسبوك وتطبيق ويز للخرائط والطرق وغيرها من الاستخدامات. لكن وبالرغم من هذا التطور المهول إلى أننا لا زلنا نكتبُ التوراة بنفس الطريقة التي كنا نكتبها بها قبل آلاف السنين: بِخَطّ اليد وباستخدام الريشة والمَحبرة ولفائف الجِلد الرقيق، وهذا أمرٌ لا يُمثل تناقضاً بل يُجسّدُ حقيقة راسخة، فالشعبُ الذي يمضي قُدُماً وهو يحملُ ماضيه معه فإنه سيبني مُستقبله دون أي خوف.

إن التجديد هو واحدٌ من أصعب المهام الإنسانية على الإطلاق، وفي هذا السياق أذكر حين جلستُ قبل بضع سنواتٍ مع رجل كان على وشك أن يُصبح رئيس الوزراء البريطاني حينها، وأثناء تبادلنا أطراف الحديث قال لي: "ما أُصلّي من أجله دوماً هو أن أَصِلَ إلى هُناك – يقصدُ مقر رئاسة الوزراء في شارع دونينغ – دون أن أنسى لماذا أردتُ أن أصل إلى ذلك المكان أصلا". وأشكُّ أن الكلمات الشهيرة لرئيس الوزراء البريطاني بين عامي 1957م حتى عام 1963م هارولد ماكميلان كانت تجول بخاطره حينها، والذي سُئِل عن أكبر مخاوفه السياسية فأجاب قائلاً: "المُناسبات، إنها المناسبات يا بُنيّ!".

هنالك الكثير من الأمور التي تحدثُ في الحياة، فتتَقاذَفُنا الرياح العابرة وتجعلنا مُستغرقين في مشاكل ليس لنا يدٌ فيها، وفي خِضمّ ذلك قد ننحرفُ عن مسارنا. وعندما تحدثُ معنا مثل هذه الأمور – سواءً كُنّا أفراداً أو جماعات أو منظومات – فإننا نهرمُ وننسى من نحنُ ولماذا نحن موجودون هنا. ثم بنهاية المطاف يحلّ محلّنا أناسٌ آخرون – أو مؤسسات أو حتى ثقافات – أصغرُ منا سِناً لكنهم يفوقونَنا في تعطّشهم ودافعيتهم، والسبيلُ الوحيد حتى نظلّ يافعين متعطشين ونتحلّى بالدافعية هو التجديد على نحوٍ مُنتظم، عبر تذكير أنفسنا من أين جِئنا وإلى أين نحن ذاهبون ولماذا نحن ماضون بهذه الوُجهة، بالإضافة إلى توجيه هذه الأسئلة لأنفسنا: ما هي المُثلُ والأخلاقيات التي نلتزم بها؟ وما هي الرحلة التي طُلِب منّا أن نستكمِلَها؟ وما هي الحكاية التي نُشكّل جُزءاً منها؟

كما كان التوقيتُ مناسباً لما أخبرنا الله عز وجل به من خلال ما أخبره لأعظم أنبيائه عن أسرار الخلود والديمومة، وهذا ما زادَ من جمال هذا الموضوع، خاصة وأن الله عز وجل أخبره بهذه الأسرار وهُو على فراشِ الموت. إنها أسرار لا تعني الخلود في السماء فقط، بل على الأرض أيضاً. فعندما نواصل تجديد بنود عهدنا مع الله عز وجل ونواصل تجديدها في حياتنا فإننا سنظل على قيد الحياة بداخل أولئك الذين سيأتون بعدنا، سواءً كانوا أبناءنا أو أتباعنا أو من ساعدناهم أو حتى مَن تأثّروا بِنا*. بعبارة أُخرى: إننا **"نجدد أيامنا كالقديم"** بحسب ما يذكره لنا سِفر مَراثي يرمياهو/إرمياء في الآية الحادية والعشرين من المقطع الخامس، وبالرغم من أن رسول الله ونبيه موشيه قد توفّى إلا أن ما علّمنا إياه وما حاول البحث عنه لا زال حياً وحاضراً بداخلنا وسيظلّ حاضراً فينا إلى الأبد.

***ملاحظة توضيحية من المترجم**: دراسة التوراة من خلال النصوص الأسبوعية وتعاليمها على يد حاخامات اليهود من أمثال الحاخام جوناثان ساكس هي بمثابة تجديد للتوراة وإبقائها حاضرة في حياتنا طوال الوقت.

1. هنالك عِبرة هامة من هذا الأمر: إن الدعوات التي ندعوها للآخرين والتي يدعوها الآخرون لنا هي التي يستجيب لها الله عز وجل، وليس بالضرورة أن يستجيب الله دوماً لدعواتنا التي ندعوها لأنفسنا. ولهذا السبب فإننا عندما ندعو الله بأن يشفي المرضى ويواسي ذوي المتوفين فإننا نُضيفُ هذه العبارة على وجه التحديد "من بين الآخرين" إلى الدعاء، والقصدُ بها أن يشمل الدعاءُ الآخرينَ من المرضى أو المَلكوُمين. ومثلما وضح الحاخام يهوداه هاليفي في كتابه "الكزاري" (أي الخزري) فإن الدعوات الفردية قد تتضارَبُ مع بعضها البعض، ولهذا السبب فإننا ندعو بأسلوب جماعي لكي يعمّ الخير على الجميع.

2. هذا ما فَهِمَهُ الحاخام دافيد قمحي (المعروف اختصاراً بالحاخام راداق) والحاخام ليفي بن چرشون (المعروف اختصاراً بالحاخام رالباچ) لهذا الموقف. لكن الحاخام يتسحق بن يهوداه أبَربانيل يجد بأنه من الصعب تصديق عدم وجود أي نسخة أخرى من نسخ التوراة التي كانت محفوظة خلال حُقبة عبادة الأوثان من التاريخ اليهودي، مُبيناً بأن النسخة التي عُثِر عليها كانت محفوظة ومُقفلة بإحكام في مكانٍ ما داخل الهيكل لأنها كانت مخطوطة النبي موشيه التي كتبها بخطّ يده.

3. انظر سِفر يرمياهو/إرمياء المقطع الحادي والثلاثين.

4. المصدر: *Public Papers of the Presidents of the United States, Ronald Reagan, 1987*, 1040–43.

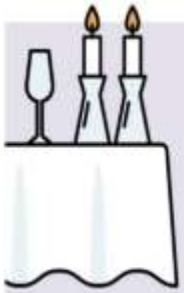

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأمُلِ

1- لماذا تعتقد أن هاتين الوصيتين هُما آخر وصيتين على وجه التحديد يجب أن يؤمرَ اليهود بتطبيقهما؟

2- ما هي الوصايا الأخرى التي بإمكانها أن تُحقّق ما تُحققه وصيةُ "هقهيل"؟

3- هل سبق لك وأن شاركت في نسخ سِفر للتوراة من قبل؟ وفي حال سبق لك وأن قمت بذلك فكيف كان شعورك؟ وفي حال لم تقم بالمشاركة هل لك ان تتصور كيف يكون مثل هذا الشعور؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/nitzavim/to-renew-our-days/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*